٢ ـ حسن البنا

الرجل القرآني

للأستاذ أنور الجندي

هذه « حلقة » أخرى من تلك « المخطوط » التي دونها « روبير جاكسون » في مذكراته واطلع عليها « صديق » الذي يطلب الطرق « واشنطون » . . والتي ينوى الكاتب الأمريكي تضمينها في رسالة له عن « الرائد الأول للإخوان المسلمين »

ا . ج

... انتهت الحرب ، وقد تجمعت للرجل قوة ، تجعله قادراً على أن يملى رأيه على كل حاكم .. ومن هنا بدا الخطر

خطر الرجل الفرد الأعزل ، الذي يعيش في بيت صغير ، لا يملك إلا مرتباً ضئيلا ، والذي جرد نفسه لفكرته ، وسحق مغريات الدنيا فلم تعد تقف أمام إيمانه ، وهزأ بكل وسائل الإغراء وأسبابه ، حتى شهد الراقبون أن ليس وراء فكرته مرآة ولا هوى !

وكان مؤرخو الشرق يتنبأون للشرق برجل يتجمع حوله .. كانوا يقولون إنه لو وجده لقامت الكتلة الإسلامية ، وانتصر الشرق . .

وكان زعماء الغرب يخشون أن يكون قد وجد هذا الرجل فعلا .. قالوها لأول مرة ، بعد أن ثبت لهم أن « حسن البنا » لا تؤثر فيه المغريات ، وأنه لا يخضع ولا يحني رأسه . .

وجاءت حرب فلسطين ، فأعطتهم تلك الصورة المزعجة الخارقة ، صورة الفدائية الإسلامية على شكل لم يعهد بعد بدر والقادسية وأجنادين ..

وعجب الغرب كيف يمكن أن تقوم في الشرق « فئة » تقدم نفسها للموت على هذه الصورة العجيبة

وكان جهاد الإخوان فيها آية الآيات .. فقد بهروا كل من اتصل بهم . . ووقف الخصوم يقارنون » . . ويرسمون الخطط لمستقبل الشرق على ضوء هذه القوة الخارقة

وأخذوا يتربصون الدوائر . . ولم يتأخر عنهم القدر ، فقد كان في صفهم هذه المرة . . ، وسرعان ما أعطاهم « عفطة » سيارة الجيب

وتجمعت القوى الحاقدة ، والمغلوبة ، وترابطت الأهواء بالمطامع . . في محيط الأحزاب والجماعات . . ، وأثير الغبار الكثيف . . وأعلنت الاتهامات والإرهاصات ، على أوسع نطاق

.. ووقف الرجل وسط النيران . . وقد خيل إليه أنه يستطيع أن يعمل شيئاً وجرت معه اتصالات ، متعددة ، كان لها أثرها . .

وشاهد الرجل في أيامه الأخيرة ، هذا البناء الضخم ، وهو ينهار حجراً حجراً . . ينهار في عالم المادة ، ويزداد قوة في عالم الروح ..

.. وقد أمد إيمان الرجل بفكرته ، أنصاره بالقوة على احتمال كل ما أريد بهم ، أمدها لأن تحتمل التعذيب الذي لقيه بلال وخباب وعمار

أي إنسان كان هذا الرجل الذي صنع هذه النفوس المؤمنة الخالصة القوية الإيمان ، التي احتملت هذا العذاب في صبر وثبات ..

• • •

« لو كان عرضا قريبا وسفراً قاصدا لاتبعوك . ولكن بعدت عليهم الشقة »

وسيصدق على الآخرين قوله الكريم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »

وأولئك هم الفائزون

سيد قطب

لقد جاء حسن البنا إجابة طبيعية لقول « غلادستون » حينما وقف في مجلس العموم البريطاني وهو يحمل « المصحف » ويقول : « ما دام هذا الكتاب باقياً في الأرض فلا أمل لنا في إخضاع المسلمين »

.. ودهش الناس يومئذ ! ماذا يقصد « غلادستون » من هذا القول ، فقد كان المصحف موجوداً إذ ذاك .. ولكنه لم يكن موجوداً على الوجه الذي يخشاه «غلادستون»

.. كان الناس في الشرق قد طوتهم ظلامات القرون . وأفسدت عقائدهم ، أقوال العلماء من صنائع السلطان ، الذين أغلقوا باب الاجتهاد ، وأفتوا لصالح الحاكم الظالم .. فلم يكونوا يفهمون من القرآن إلا أنه كتاب الله .. يقرأونه على القبور وفي الصلاة ..

.. حتى جاء حسن البنا ، على أثر نداء غلادستون ، ليقول للناس ، إن خطر هذا الكتاب الذي يخشاه المستعمرون ، ليس لأنه آيات تقرأ في الصلاة أو ترددها الشفاه ، وإنما لأنه كتاب تشريع وقيادة ، وإمامة وحكم

وإنما يخشى الغرب روح الإسلام التي لو تبدت ، دبت اليقظة في أوصاله فأفسد ذلك على المستعمرين أغراضهم .. وقامت في الشرق أمة تحب الموت في سبيل الحرية والكرامة والعزة ..

.. وكان حسن البنا هو الرجل الذي أخرجه التاريخ ليكتب هذه الصفحة الجديدة في تاريخ الشرق الحديث

.. ولذلك نظروا إليه منذ اليوم الأول نظرة الترقب والتوجس والخوف .. وحاولوا أن يصلوا إليه ، أن يصلوا إلى قلبه ، فلما عجزوا وأخفقوا ، آمنوا بأن الأمر سيكون أخطر مما يتصورون ، وأن الشرق مقبل على فجر « صادق » يطوي الاستعمار طيا ، وأصروا على أن يطول الليل .. وأن يذهب الفجر .. ولا يعود ..

ترى هل استطاعوا ؟

• • •

وقف الغرب يرقب في لهفة ، ذلك الرجل الذي جاء ليجدد « دعوة » محمد بن عبد الله .. ومضى يسير على نهجه في بساطة وأناة .. لا يسبق الحوادث ، ولا يصدم نواميس الكون

الرجل الذي كان يعلم أن مهمته ضخمة .. وأنها أكبر من جهد فرد .. ولكنه كان قوي العزيمة إلى الحد الذي يمنح الثقة على النفس .. فآمن بأنه سيصل

ومضى يعمل ويسهر ويكد ويجهد ... يقابل الناس ، ويتحدث إليهم .. ويخطب فيهم .. ويكتب لهم

ومضى ينفق من صحته ومن أعصابه ، حتى كان اليوم والليلة يضيقان عما يريد .. ومع هذا ظلت أعصابه قوية .. وكان يزداد مع الأيام تألقا

لم يمرض يوما ، ولم ينم في فراش .. كأنما كان جسده محصن ضد المرض ، وكان كثير الأسفار .. وكانت الأسفار لا تجهده .. بل كان لقاؤه لأعوانه ، في كل مكان ، يزيد روحه قوة ، ويفيض على نفسه حماسة وإشراقا

وكان موفقا لا تقف عقبة في طريقه مهما عظمت

وكان لبقا ، فلم يلتق بإنسان مهما كان كبيرا ، إلا استطاع أن ينابه ويقنعه ويضفي عليه شعاعا من روحه الوهاج

ولو كان في مصر يوم بدأت الأحداث لتلافاها ، ولا استطاع أن يطفئ النار قبل أن يزداد لهيبها ..

• • •

وعندما وقعت القارعة انصرف عن الرجل بعض الذين كانوا يلقونه من قبل بالإكبار من ذوي الرأي ... ودخلوا جحورهم ، وخشي كل منهم أن يقف في وجه الطوفان الذي كانت تدفعه يده ... بل إن بعضهم انضم إلى خصومه وداري معرفته السابقة له ، بحرب هوان ..

... توارى بعض الذين كانوا يحرصون على أن يكسبوه أو يفيدوا منه .. وهذا شأن الشرق ، يحني رأسه للرجل الذي يتألق ، فإذا انصرف عنه الجاه العريض ، شيعه الناس بالسخرية والاستخفاف ..

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي .. ولأم المخطئ الهبل

للكلام صلة

أنور الجندي